



سعد بن سعيد الزهري
أمين عام الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات

الإنترنت أم المكتبة أيهما يلغي الآخر

3/3

إن تردّي حال المكتبات ومراكز المعلومات وعدم قيامهما بدوريهما المطلوب تجاه المستفيدين منهما. جعل الكثيرين يستبشرون بكل تقنية جديدة اعتقاداً منهما -ربما- أن تلك لتقنية ستغنيهم عن المكتبات ومراكز المعلومات. لقد هلّل بعض هؤلاء لقدوم تقنية أقراص الليزر منتصف الثمانينيات كوسيلة نشر بمقدورها أن تحوي عدة كتب على قرص ليزر واحد. تطور الحال بعده لإنشاء شبكات محلية لأقراص الليزر أفادت كثيراً وبخاصة في مجالات المعايير والكشافات والمستخلصات وكذلك الدورات كاملة النصوص والكتب السنوية والمرجعية. لكنها -شأنها شأن تقنيات كثيرة سبقتها- لم تدم طويلاً في مقارعة المكتبات التقليدية. وهاهي الإنترنت -التي تعود بداياتها للسبعينيات- تستحوذ على لبّ العالم كله لأكثر من عقد من الزمان حتى لكأنها الخطر القادم على المكتبات ومراكز المعلومات. فهل هي فعلاً البديل المنتظر للمكتبات ومراكز المعلومات الحالية؟

لقد حدث الكاتب في الحلقتين السابقتين عن الأسباب التي لا تخول الإنترنت أن تغنيها عن المكتبة - على الأقل في المرحلة الحالية. كما سرد عدة أمثلة واستعرض أشكالاً متعددة لكيفية الاستفادة من الإنترنت -جنباً إلى جنب المكتبة كمشروع المكتبة الإلكترونية المتنقلة. وكذلك تحدث عن تأثير الإنترنت على المكتبة. والأسباب التي تدعو إلى الاتصال بالإنترنت وجعلها جزءاً لا يتجزأ من خدمة المعلومات. التي تتصدى لها المكتبات كأحد أهم أهدافها الاستراتيجية والفعلية.

مزايا الإنترنت :

مفتوحة مادياً ومعنوياً، إذ بإمكان أي شبكة فرعية أو محلية أن ترتبط بالإنترنت وتصبح جزءاً منها بصرف النظر عن موقعها الجغرافي أو توجهها الديني أو الاجتماعي أو السياسي، أن الإنترنت عملاقة ومتنامية حيث حققت ما لم تحقّقه أي تقانة أخرى في تاريخ البشرية. لقد احتاجت خدمة الندياع نحو 40 سنة حتى أصبح لديها 50 مليون مشتركاً، واحتاجت خدمات التلفزة إلى 13 عاماً والحوايب الشخصية إلى 16 عاماً لتحقيق مثل ذلك الرقم. فيما حققت الإنترنت في نحو 4 أعوام أكثر من ذلك الرقم

لقد عدد رائد حلاق (2001)، في بحثه حول تقويم معلومات الإنترنت، العديد من المعايير عند اختيار مصادر المعلومات (من الإنترنت) للبحوث منها المصداقية التي عدها أهم خصائص تقويم المعلومات، ودقتها (أي صحتها) وتاريخها وشموليتها وعقلانيتها (الاعتدال والموضوعية والاستقامة) (1).

كما سرد يوسف (2000) العديد من المزايا والخصائص للإنترنت نستأنس برباية في هذا السياق. حيث ذكر أولاً أن الإنترنت

وهو في تزايد مطرد. ففيما كان الإنترنت يقدر عددهم بأربعين مليون مشترك نجده اليوم يتجاوز 300 مليون مستخدماً (2).

3 معلومات عشوائية:

بسبب أن الإنترنت تنمو بدون جهة أو جهات تنظيمية أو رقابية أو إدارية، فقد "تطاول بناؤها" بشكل عشوائي غير منظم. ورغم أن هناك محركات بحث كثيرة ومتعددة وبلغات مختلفة، فإن الإنترنت لا زالت تترجم بمواد ومصادر ومعارف لا يمكن الوصول إليها بسهولة جراء الحالة العشوائية التي تعيشها. وهو الأمر التي تتفوق فيه المكتبات على الإنترنت بما يبذل فيها من جهود تنظيمية وعلمية وإدارية وخدمية.

4 شعبية طاغية:

لا توجد وسيلة اليوم تضاهي في شعبيتها الإنترنت، فهي وسيلة جماهيرية وغير مقصورة على فئة معينة، وبواسطتها امتلك الفرد العادي قوة كبيرة جداً بفضل ما تهيئه من خدمات من الرسائل والمعارف والمداوات المالية والعقود والاستفسارات وتبادل الصور والبيانات والعلوم وسهولة البحث عن المعلومات إضافة إلى مزايا الاتصال الهاتفي بواسطتها أيضاً واستخدام وسائل المحادثة Chatting والتراسل السريع بالمسنجر Messenger.

5 تجارة إلكترونية:

لا توجد وسيلة إعلانية تضاهي الإنترنت في الوقت الحاضر حيث يقدر حجم التجارة الإلكترونية بين 65 - 100 بليون دولار، أكثر من نصفها من نصيب الولايات المتحدة، ومن المقرر أن يكون قد ارتفع حجمها مع نهاية هذا العام (2003) إلى نحو واحد ونصف ترليون.

6 التطور المستمر:

لقد أحدثت الإنترنت تحولاً كبيراً في مفهوم صناعة المعلومات وسرعة انتشارها لدرجة أمحت معها فوارق الزمن وبعد المسافات. فقد تحول العالم - بفضل هذه الوسيلة - إلى شاشة صغيرة بقاترته الشاسعة وشعوبه المختلفة وأجناسه المتعددة التي أصبح من خلالها لأفراد يتزايدون في منازلهم ومكاتبهم.

معلومات مفيدة أم

وسيلة ترفيه وتسلية:

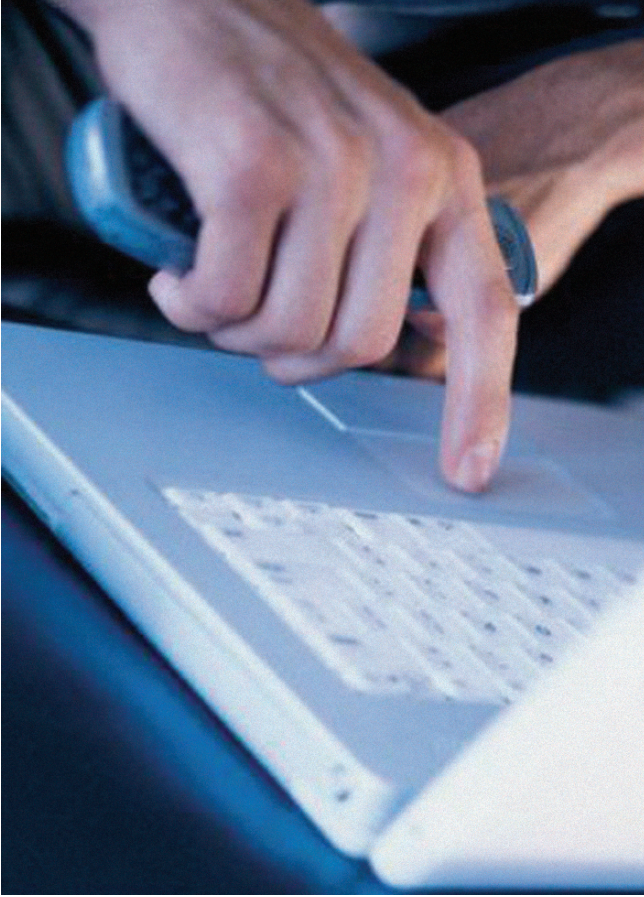
وفي ذات السياق عدد أحد مناصري المكتبات عشرة أسباب لبقاء المكتبات في أداء مهامها، شريطة أن يعمل القائمون عليها على

تجديد هويتها/رسالتها mission. وتحديث أهدافها وتطوير السبل الكفيلة بتحقيق تلك الأهداف. ومن أجل المحافظة عليها ولنألا تصبح رمزاً لعالم المطبوعات التي في طريقها للانقراض، على المكتبات أن تصبح قادرة على خدمة الباحثين أينما كانوا بحيث تمكنهم من التجول في كنوزها من أي مكان وفي أي وقت. ويقول مناصر المكتبات المشار إليه أن المكتبات العامة وجدت لتبقى، فلا "تخطط لإغلاق الأبواب" في المستقبل القريب (3). لقد جاء في تعداد تلك الأسباب ما يلي:

(1) أن رسالة الإنترنت الأولى هي الترويج والتسلية وليس التعليم أو الترفيه أو المعرفة. ورغم الكم الهائل من مصادر المعلومات (العلمية والثقافية) مثلما يتوفر على بعض المواقع -ومن خلال روابط مكتبة الإنترنت العامة IPL.org أو كشاف المكتبيين على الإنترنت Lii.Org وخلافهما- فإن السبب الرئيس وراء دخول الإنترنت معظم المنازل هو كونها وسيلة تسلية، وبصرف النظر عما يقوله/يدعيه معظم الناس، فإنهم يشتركون أجهزة الحاسوب ويشتركون في الإنترنت لنفس الأسباب التي يشتركون من أجلها التلفاز ويشتركون من أجلها في محطات البث التلفزيوني المشفر. وبلغه المتابعين والشاهدين فالأنها (الإنترنت) مثل قناة

HPO وليست فقط من أجل C-SPAN أو THOMAS

(2) والإنترنت كونها وسيلة تسلية، فهي - بطبعه الحال - مكان للتسويق، وأصبحت وسيلة تكسب، ومكان لعقد الصفقات، ولهذا يتجلى قانون قريشام Gresham (الذي يقتضي أن المواقع السيئة تطرد/ تطغى على المواقع المفيدة الجيدة). ولهذا فهناك من مواقع التسلية Entertainment أضعاف ما هو موجود من المواقع الجادة على الإنترنت، ورغم صعوبة التفريق بين الفئتين. وستصبح الإنترنت مرتعاً للاعبين الكبار (أمثال دزني) بحيث تصبح أكثر مركزية مع تنامي المعلومات بالتسلية: Infotainment، وستختفي الحواجز بين الدعاية والإعلان وبين مصادر المعلومات الجادة مع تزايد إعلانات Pop-UPs وترويسة الاعلانات Banners على رؤوس الصفحات التي تمتلئ بالإعلانات المضيئة Flashing. لقد كانت الدوريات والكتب العلمية بمنأى عن الدعاية والإعلان، بحيث لا يتشارك شيء في أسباب وجودها مع الهدف العلمي. وعليه، فلا نتوقع أن تتخلص الإنترنت من إشكالات الجودة في المواقع إذا كانت الدوافع الدعاية والتسويقية تتداخل مع الأهداف العلمية في تحريك عجلة هبئة وكيفية مصادر/مرافق المعلومات على الشبكة. وهنا يصبح للمعلن دور وتأثير في مسائل الاتصال العلمي Scientific communication بدلاً من الاستفادة النهائي الذي كان يتحكم في مسيرة "التواصل" والتفاعل بينه وبين ما ينتج من معلومات علمية (4).



(3) إن المعلومات ذات الجودة quality content ستكون أكثر بشكل مطرد مما كانت تكلف (رغم أنها كانت مكلفة أيضا). وإلا فإن UMI وأمثالها EBSCO و LAC ستخسر بقاءها فضلاً عن أن نذكر Wall Street Journal.

إن هذه هي الطريقة التي تعمل مع الاقتصاد الذي يعتمد على المجانية أولاً كما كان الحال مع انتشار التلفاز الذي ابتدأ مسيرته بعدد القنوات التي دُعمت من قبل شركات الإعلان قبل أن تخصص بعض القنوات لتعمل لجماهير محددة (بالاشتراك Cable). ثم جاءت بعد ذلك قنوات متميزة ولكن نظير اشتراكات أعلى قبيل مجيء قنوات ادفع مقابل أن تشاهد Pay per view للمناسبات الخاصة. ونلاحظ أن الأخيرتين تخصصاً في المناسبات الرياضية أو الإباحية.

ولهذا فإنه من الصعب إيجاد قنوات تلفزيونية اليوم - خالية من الدعاية- تقدم محتويات "راقية" وذات جودة عالية. وهنا هو ما تسير الأمور إليه في الإنترنت. ولعل الاشتراكات "العقولة" Micropayment تكون الحل الأمثل اليوم بدلاً من مفهوم الاقتصاد المجاني gift economy الذي تعتمد عليه الإنترنت، لتحقيق اعتمادية وموثوقية وجودة أكبر لما يقدم على الإنترنت اليوم.

(4) لعل أهم ما يميز به الإنترنت اليوم اجتماعياً هو استخدامها كوسيلة تواصل Communication Medium. لقد تغير كل شيء بالفعل في هذا المجال حيث استبدل الناس الرسائل email بالبريد العادي (البطيء) لدرجة تقلق مكاتب البريد وتندر بإغلاق كثير من وكالاته. كما أن هاتف الإنترنت وناسخوها (الفاكس) يتطوران بشكل متسارع في هذا الاتجاه. وبرغم الإفادة القصوى التي قدمتها هاتان الخدمتان للعائلات والأصدقاء للتواصل فيما بينهم، إلا أنها للأسف تستخدم كثيراً في المحادثات الفارغة Chatting وفي بث الإعلانات غير المقننة Spam التي يتطفل بها أصحابها على الناس بدون وجه حق. وقد ظهر عدد من الخدمات التي تشبه ما تقدمه المكتبات في الخدمة المرجعية، لكنها لا ترقى لأن تصل لمرحلة إغلاق المكتبات والاستغناء نهائياً خدماتها.

(5) الإنترنت - أحياناً - تُشبه كتاب قطعت أوراقه ورميت عشوائياً على الأرض. وعليه فمن السهل أن تجد بعضاً مما

تحتاجه بالفعل. ولكن من الصعب القول بأن الباحث سيجد كل ما يحتاجه، وبالجودة التي كان يجدها في المكتبات. والإنترنت هنا تتميز بعجز من يريد أن يقطع ورقة في كتاب بمكتبة أن يفعل الشيء نفسه. لكنها -كونها تعتمد على محررات بحث- تعاني من مشكلة الاسترجاع، إذ تسترجع أحياناً مئات الآلاف من المواقع حول موضوع معين. لأنها تعتمد على برامج اليكترونية تجوب مواقع الإنترنت في كل العالم بحثاً عن كلمات مفتاحية Key words. وهذه المواقع -أولا ليست مكشوفة (بمعنى أنها تستخدم اللغة الطبيعية Natural Language مقابل اللغة المحكمة Controlled vocabulary).

وكون عملية الاسترجاع هنا تعتمد على مرور محرك البحث بالكلمات المفتاحية، فقد ظهرت تقنيات برمجية "تستقطب" محررات البحث للمواقع بغية ظهورها في نتائج البحث أولاً. وقد استخدمت هذه التقنية كثيراً من قبل المواقع الإباحية مثلاً. كذلك فإن بعض المواقع تتضمن كثيراً من الكلمات المفتاحية ذات غير علاقة بمحتوى الموقع وذلك أيضاً حتى تتمكن من "لفت

الانتباه " محرركات البحث.

(6) لازالت الانترنت تعاني من مسألة التوثيق/الأصالة لما تقدمه من معلومات وبحوث. فهناك العديد من الوثائق غير المذيلة بمؤلف صاحب مسؤولية، وبعضها لا يشير إلى آخر تحديث طرأ عليها. كما أنه ليس هناك " تأكيد " على أصالة ودقة ما تحوى من معلومات. ونظرا لوجود مشكلات كبيرة فيما يتعلق بأمن المعلومات على الانترنت، فإن هذه الوثائق معرضة لاختراق. (هناك تقنيات محددة مثل PDF مضمونة الحماية ولا يمكن تعديلها).

(7) كثيرة هي المعلومات على الانترنت حتى لا يكاد المرء يحصي ما عليها حول موضوع معين، لكنها في ذات الوقت ليست عميقة! كما أن الانترنت تحوى معلومات - غالبا - خلال فترة تاريخية قصيرة، إضافة إلى أنها لا تحوى كل ما نشر عليها منذ نشأتها، بمعنى أن الجانب التاريخي لما ينشر عليها ضعيف حتى مع نشأة مؤسسات متخصصة في هذا المجال مثل: www.archive.org.

وهناك إشكالية حول مستوى ما ينشر على الشبكة، فهو ليس بالضرورة جيد المستوى. إذ أن هناك كثيرا ممن يرغبون في النشر وجدوا في الانترنت ضالته في ظل عدم مقدرتهم/امتناع أي ناشر بتولي نشر أعمالهم لرداءتها، ويجب أن نشير إلى أنه هذه السلبية للانترنت يقابلها إيجابيات للنشر لن لم يستطيعوا النشر لظروف مادية أو لعدم مقدرتهم تجاوز ظروف اجتماعية أو سياسية لنشر أعمالهم.

وعليه فإن مسائل استرجاع المحتوى تعتمد على عمليات الإدخال، فلا تتوقع أن نسترجع أفضل مما تم وضعه على الشبكة. بمعنى أن نظام/قانون المتخصصين في الحواسيب ينطبق هنا تماما: garbage in, garbage out.

(8) ليس هناك من شك في أن الانترنت ستحدث تغييرا جذريا في مسائل التعاطي مع حقوق النشر. وهذا التغيير لا يعني زوال تأثير حقوق التأليف على النشر، بل العكس هو الصحيح. فمن جانب يسهل تصوير ونقل المعلومات من على كتاب أو مجلة اليكترونية أو موقع اليكتروني، ولكن من جانب آخر فإن ذلك يصعب متي ما استخدمت التقنيات المناسبة لحفظ الحقوق. كما أن الباحث/ المؤلف أصبح لديه امكانيات كبيرة لحفظ حقوقه التي نُشرت

اليكترونيا متى أراد ذلك.

(9) لعل الوثائق الورقية لديها من المميزات الكثير التي يتجاهلها كثير من الناس سعيا لمواكبة التطورات المتلاحقة خلف الانترنت التي " أغرت " بمميزاتها كل ما عداها. فالوثائق الورقية رخيصة في الانتاج، وليس لها عمر افتراضي، فلا نحتاج لتجديد حواسيبنا كل خمس سنوات لقراءتها، ولا يفرق معنا أكانت حواسيبنا انتل أو ماكروسفت. كما أن للكتاب وضوح في الرؤية Resolution لا تتوفر في أي حاسوب حاليا ولا في المستقبل القريب، وهي أيضا لا تحتاج لطاقة الكهرباء مثلا للإطلاع عليها.

(10) بالمقابل فإن الانترنت، بما تشمل من مصادر معلومات اليكترونية، تتميز على المصادر الورقية بالكثير مما تقدمه من معلومات بأشكال مختلفة تدمج فيها الصوت مع الصورة مع الحرف، ولو قدر لي لقلت في جملة واحدة أن الكتاب الورقي يتميز بالمعلومات الخطية/ الطولية Linear فيما تتفوق الانترنت بما تقدمه من الوسائط المتعددة في آن Multimedia.

وعليه فإن المكتبة تتفوق في تهيئة بيئة " مثالية " للإفادة من المعلومات وفي " تشجيع " المستفيدين بالتواصل " الحي " بين موظفيها والمستفيدين وفي إتاحة المعرفة للمستفيدين بشكل يشجعهم على التحصيل والإفادة، ولعله من الصعب جدا الاختيار بين المكتبة والانترنت كواحدة منهما دون الأخرى في ظل الحاجة الماسة للانترنتين، ولكن الواضح أن الافادة من الانترنتين تكامليا في المرحلة الحالية هو الخيار الأمثل. بيد أنه من الضروري لكل منهما العمل على تجاوز مشكلاتها الخاصة بها والعمل على تحقيق تقدم نحو مميزات الأخرى.

ولنا أن نتخيل المكتبة -بما تتمتع به من بيئة معرفية وجو مساعد للبحث والتقصي وموظفين "بشوشين" ومهتمين-تحقق بعضا أو أغلب مميزات الانترنت من سرعة في التواصل وسرعة في الوصول للمعلومة الحديثة وما إلى ذلك من مميزات الانترنت. كما لنا أن نتصور الانترنت وقد اتسمت بموثوقية المعرفة (الورقية) وأصالة ومصداقية محتواها في بيئة تشجع على العلم والمعرفة دون تدخل وسائل الكسب (الإعلان) في مسيرة عرضها. إنه لخيال جميل قريب التحقق إن شاء الله.

1 - حلاق، راند (2001). تقويم معلومات الانترنت، العربية 3000. ع3، ص67-76.

2 - يوسف، محمد زايد (2000). الانترنت لغة المستقبل. صحيفة عكاظ، س42، عم 12259. (14 / 12 / 1420 للوافق 20 مارس 2000). نقلا عن: عباس، هشام عبد الله (2001). المكتبات في عصر الانترنت: تحديات ومواجهة. العربية 3000. ع3، ص97 - 109

3 - Here to stay 2.02. The top ten reasons Why the internet will not replace library. WWW.Geocities.Com/Soho/nook/8823/still-hunt.html

4 - للمزيد، Beyond Portals and gifts. Towards a bottom-up net-economy. At http://www.firstmonday.dk/issues/issue4_1/stalder (شوهدي في 2003/12/27).